Princeton University Library
32101 059172005

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

التضامن الإسلامي

في عالم اليوم

(REC.49)
al-Tadāmun

التضامن الإسلامي
في عالم اليوم

(RECAP)
BP170
.82
.T322
1950z

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL>

المحتوى

صفحة

الفصـــل الاول
واقع العالم الاسلامى

* واقع الضعف والانقسـام ١١
* تجاوزنا مرحلة التدهور ، وبدأنا طريق الصعود ١١
* انتصرنا فى معارك الاستقلال الوطنى ١٢
* اهداف المرحلة الحالية ١٣
* لا شك فى مقدرة شعوبنا ١٤
* اسباب العجز الحالى ١٥

الفصـــل الثانـــى
دور المسلمين فى عالم التكتلات

* عالم الوحـــدة ١٩
* مرحلـــة التكتلات الدولية ١٩
* سلسلة التكتلات التى تحيط بالعـــالم ٢٠
* دور ايجابى مشرف للمســـلمين ٢١
* سر حيوية المسلمين ٢٢
* النتائج السلبية ٢٢
النتائج المضادة والعكسية ٢٣
* لا بد من اختيار ٢٤

الفصـــل الثالث
اسس التضامن الاسلامى

* حقيقة واقعـــة ٢٩

صفحة

* توفر عوامل التجمع ٣٠
* العامل الجغرافى ٣١
* العامل التاريخى ٣٢
* العوامل السياسية ٣٣
* العوامل الاقتصادية ٣٤

الفصـــل الرابـــع
مضمون الدعوة للتضامن الاسلامى

* تجمع حضارى بناء لا تكتل سياسى ٣٩
* مرحلة جديدة فى التعاون الدولى ٣٩
* مضمون واقعى عملى غنى بالامكانيات ٤١
* التنسيق الثقافى الاجتماعى ٤٢
* التنسيق الفكرى والعقيدى ٤٣
* التنسيق السياسى ٤٤
* التنسيق الاقتصادى ٤٥
* خـــــاتمـــة ٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

قيل كلام كثير عن « الشـــرق الاوسط » .

ولم يحدث أن أثار هذا الكلام جدلا بين رجال السياسة ، ولا بين فرسان الصحافة ولا أبواق الدعاية . ولم يحدث أن أثار هذا الكلام عن « الشرق الاوسط » ثائرة عملاء القوى السياسية الطامعة أو المتنازعة أو المتنافسة على السيطرة على هذه « المنطقة » .

ثم تكلم صوت عن « التضامن الاسلامى » .

فما كاد هذا الصوت يرتفع ، وما كادت دعوته تصل الى الاســماع حتى سلطت عليها الاضواء ، ودارت حولها معارك الجدل والكلام ، وغطى حقائقها عجاج الخيل المقبلة والمدبرة فى كر السياسة وفرها ، وكاد أن يطغى عليها ضجيج أبواق الدعاية الناعقة ، وعملاء التهديدات الخفية والظاهرة .. تلاهـــا دوى « المفرقعات » والمتفجرات المحذرة والمنذرة والمهددة ..

كل هذا من أجل اسكات هذه الصوت ، .. واخراس هذه « الدعوة » .

فما هو السبب فى ذلك ؟

وما هو الفرق اذن بين الكلام عن الشرق « الاوسط » الذى لا يثير شياطين الرعب والفزع ــ وبين الكلام عن تضامن اسلامى ؟

لن تجد الاجابة على هذا السؤال على صفحات الجرائد ، ولا المجلات، ولا الاذاعات الثائرة المستنفرة ، ولا كتب « الشيوعية » الموجهة . بل عليك أن تذهب الى حرم الجامعة ، أو محراب العلم ، لتجد باحثا متخصصا ، أو عالما مترهبا ــ ليبحث لك عن الجواب فى حركة « التاريخ » ، وتصارع القوى والمذاهب ..

وقد وجدنا هـــذا العـــالم المتخصص ، ووجهنـــا لـــه الســـؤال ، فكتب لنا هذا البحث .

ونحن نكتفى بتقديمه للقراء ليحكموا عليه ، ويستفيدوا من منهجه الموضوعى العلمى ..

ويحكموا بعد ذلك : من هو أقرب للمنهج العلمى الموضوعى ، والواقع العملى ــ هل هم دعاة « التضامن الاسلامى » أم خصومه ؟

تقديم البحث
الشرق الأوسط والعالم الاسلامى

عندما يتحدث العلماء عن التعايش السلمى بين «الشرق» و «الغرب» ، او عن الصراع السياسى أو التنافس الصناعى والفنى بين «الشرق» و «الغرب» فانهم ــ على خلاف عامة الناس وصحافة الجماهير ــ لا يقصدون «الشرق» الجغرافى ، ولا «الغرب» الجغرافى ــ وانما يعنون بالدرجة الاولى الشرق بمذهبه «الشيوعى» ، والغرب بمذهبه «الرأسمالى» . وكلمة المذهب هنا هى عنوان « الشخصية المميزة » لحضارة كل من المنطقتين الجغرافيتين .

فلا جدال اذن فى أن للشرق شخصيته المميزة له مذهبيا وحضاريا ــ وللغرب كذلك . ولا يعترض أحد على الاعتراف لكل منهما بهذه الشخصية الحضارية المتميزة فى مواجهة الكتلة الاخرى .

كذلك عندما يتكلم العلماء عن الشرق « الاوسط » ــ فانهم لا يقصدون به فقط منطقة جغرافية معينة ــ كما يفهم قراء الصحف اليومية ومستمعى الاذاعات الشعبية ــ وانما يقصدون منطقة لها خصائصها التاريخية ، والثقافية ، والعقائدية والمذهبية المميزة لها والتى تجعلها وسطا بين « الشرق » و « الغرب » .

ومهما تكن الخصائص المميزة لهذه المنطقة « الوسطى » فانها تدور حول الاسلام الذى يمثل تاريخها ، وحضارتها وعقيدتها ومذهبها .

والفرق بين اصطلاح « الشرق الاوسط » الذى جرى العمل به ، وبين اصطلاح « العالم الاسلامى » فرق واحد : هو أن الاصطلاح الاول يعطى لهذه المنطقة صورة جوفاء فارغة من كل محتوى عقيدى أو مذهبى ــ أما الاصطلاح الثانى فانه يحدد بوضوح وصراحة المحتوى المذهبى والفكرى والعقيدى والحضارى الذى يحدد « شخصية » تلك المنطقة ــ فى مواجهة الكتل المذهبية العالمية فى «الشرق» ، وفى «الغرب» .

والاصطلاح الاجوف يستريح اليه أولئك الذين يهمهم مسخ صورة الشرق الاوسط ، وتفريغه من شخصيته الذاتية ليكون تابعا وذيلا لاحدى القوتين الفكريتين المتصارعتين على السيطرة العالمية ، قوة « الكتلة

الشرقية الشيوعية » أو « الكتلة الغربية الرأسمالية » .

أما شعوب الشرق الاوسط الطامحة الى بناء كيانها الفكرى والعقيدى والمذهبى متميزة عن هاتين القوتين العالميتين المتنافستين ، فانها لا تجد شخصيتها وذاتيتها الا فى حضارة الاسلام التى ألفت بين عقائدها وآخت بين أديانها ووحدت نظمها ومزجت ثقافتها وأدمجت سلالاتها وعناصرها — وبهذا يتكون « العالم الاسلامى » من عنصرين : عنصر جغرافى هو « الشرق الاوسط والادنى » وعنصر حضارى تاريخى ثقافى عقيدى هو « الحضارة الاسلامية » .

وهذا هو ما نقصده عندما نتكلم فى بحثنا عن « العالم الاسلامى » .

الفصل الاول

واقع "العالم الاسلامي"

واقع الضعف والانقسام

واقع المسلمين اليوم يتلخص فى كلمتين : ضعف وانقسام .

وقد أثبت تاريخ الاسلام أن هاتين الكلمتين مترادفتين متلازمتين كأن كل واحدة منهما تدل على الاخرى وكأنهما يعبران عن حالة واحدة . فمنذ بزوغ نور الاسلام الى اليوم كانت وحدة المسلمين هى قوتهم ومجدهم وعظمتهم ، وكانت فرقتهم هى الضعف والانهيار والتخلف .

والمسلمون اليوم يقاسون من الضعف والتخلف بقدر ما بينهم من فرقة وما بين شعوبهم من خلافات وانقسامات . واذا كان تاريخ المسلمين يصوره خط بيانى يرتفع بارتفاعهم وينخفض بانخفاضهم فان هذا الخط يمر اليوم فى مرحلة تجتمع فيها أسباب الضعف والتخلف حول عوامل الفرقة والانقسام ويدل — هذا الخط البيانى — على أن حالة المسلمين هى على غير ما يريدونه من قوة ، ودون ما يستحقونه من مكانة فى عالم المدنية والحضارة الانسانية .

فالمسلمون اليوم لا يحتلون فى العالم المركز الذى يتناسب مع تعداد شعوبهم واتساع أوطانهم وما تحتويه أرضهم من ثروات ، وما تتمتع به من مركز جغرافى واستراتيجى فذ .

والمسلمون لا يحتلون فى عالم اليوم المركز الذى يتناسب مع رسالتهم السامية ، وحضارتهم الاسلامية التى أضاءت العالم كله خلال العصور الوسطى حينما كانت سواهم من الامم غارقة فى ظلام التأخر والجهل .

والمسلمون اليوم تفرق بينهم الاهواء ، وتمزقهم الخلافات الطائفية ، والانقسامات الفكرية ، وما زالت تشغلهم تلك الانقسامات والخلافات عن العمل الموحد من أجل قضاياهم الكبرى ومصالحهم المشتركة .

والمسلمون اليوم يصرفون طاقاتهم للخصومات المحلية ، والمعارك الداخلية ، والمشاكل الاقليمية ، بدلا من الوقوف صفا واحدا كأنه البنيان المرصوص وراء اخوانهم الذين ما زالوا يخوضون معارك التحرير لاسترداد حقوقهم المشروعة فى فلسطين ، وفى كشمير وفى الصومال ، وفى الجنوب العربى .. وغيرها .

تجاوزنا مرحلة الهبوط وبدأنا طريق الصعود

ان مشاكل المسلمين اليوم فى عمومها من مشاكل النمو لا من مشاكل التدهور والانهيار ، ذلك أن انهيار الدول الاسلامية بدأ فى نهاية القرون الوسطى ، عندما وقعوا فريسة للتخلف والاختلاف ، فى نفس الوقت الذى

سارت فيه اوربا فى طريق النهضة والقوة نتيجة للعوامل الطبيعية والاقتصادية التى أوجدت الثورة الصناعية والنهضة العلمية والقوة العسكرية التى دفعتها الى التوسع الاستعمارى .

وقد اجتاح الطوفان الاستعمارى الاوربى أغلب مناطق القارتين القديمتين — آسيا وافريقيا — وطوق الدولة العثمانية الاسلامية التى بقيت وحدها جزيرة معزولة مطوقة تقاوم المد الاستعمارى ، الى ان انهارت عقب هزيمتها فى الحرب العالمية الاولى وبذلك وصل المسلمون الى حضيض هوة التدهور والانهيار ، وتحطم آخر مظهر من مظاهر قوتهم ووحدتهم ، فمزقت اوطانهم الى أقاليم متناثرة تحت أقدام جيوش الاستعمار الاجنبى فى صورة احتلال أو انتداب ، أو حماية او تبعية .

ولكن المسلمين لم يستكينوا لطغيان الامبراطوريات الاوربية الغازية المستغلة الطاغية ، بل رفعوا علم المقاومة والنضال الوطنى فى كل جزء من أجزاء وطنهم الكبير واستطاعوا أن يردوا المد الاستعمارى ، بفضل جهادهم وتضحياتهم ودماء شهدائهم وابطالهم التى روت تراب اقطارهم من اقصى المشرق الى اقصى المغرب ، واستردت اغلب الشعوب الاسلامية سيادتها واستقلالها ، وبذلك بدأت طريقها للصعود نحو القوة والمجد واجتازت أول مرحلة من مراحل سلم النهضة والرقى بانتصارها فى معارك الاستقلال الوطنى .

انتصرنا فى معارك الاستقلال الوطنى :

نعم ، لقد كانت أول المراحل فى طريق النهوض والصعود هى مرحلة الكفاح الوطنى الذى خاضه كل شعب من شعوب العالم الاسلامى لتطهير بلاده من الاحتلال الاجنبى الاستعمارى .

أنطلاقا من مبادىء الاسلام التى عبر عنها جمال الدين الافغانى بقوله : « لا يجتمع الاسلام والذل فى قلب واحد » . لم يستكن شعب واحد من شعوب العالم الاسلامى لواقع الذلة والفرقة والانحطاط الذى فرضه عليه الاحتلال الاجنبى ، بل استأنف كل شعب من شعوب الاسلام نضاله الوطنى للتحرر من السيطرة الاستعمارية ، والتخلص من الاحتلال الاجنبى واسترداد حريته ، والدفاع عن ارضه وعن سيادته .

وتمخضت هذه الانطلاقات عن ثورة تركيا لصد الاحتلال اليونانى عن الاناضول واسترداد الاستانة ، وعن ثورة مصر ضد الحماية الانجليزية والاحتلال الانجليزى سنة ١٩١٩ ، وثورات العراق وسورية ، ونضال شعب فلسطين ، وانتفاضة الوهابيين فى الجزيرة ، وحركة الرابطة الاسلامية فى الهند ، وثورة عبد الكريم فى المغرب ، ونضال الدستوريين فى تونس وكفاح الشعب الليبى البطل بقيادة عمر المختار وزعامة السنوسيين ضد الغزو الايطالى الفاشستى وغير ذلك من الانتفاضات

التى شملت كل جزء من أجزاء الوطن الاسلامى ، من اندونيسيا الى المغرب حتى توجت هذه المرحلة بثورة الجزائر وانتصارها عام ١٩٦٢ ، الذى يمكن اعتباره خاتمة المرحلة الاولى للنضال الاسلامى : مرحلة الكفاح الوطنى او النضال القومى .

وبانتصار الشعوب الاسلامية فى هذه المرحلة دخلت المرحلة الثانية : « مرحلة البناء والانشاء » بنفس القوة والعزيمة والايمان والحكمة التى تسلحت بها فى المرحلة السابقة .

أهداف المرحلة الحالية

تواجه الشعوب الاسلامية اليوم نفس المشاكل والصعاب التى تواجهها جميع الشعوب التى تحررت من الاستعمار والاحتلال الاجنبى ، والتى ورثت عنهما « حالة التخلف » التى تعانيها جميع شعوب « العالم الثالث » أو الدول « النامية » .

وهذه المشاكل تدور حول هدفين رئيسيين :

ـ **الهدف الاول :** التحرر من حالة « التخلف » الاقتصادى والتخلف الثقافى والعلمى والفنى ، وذلك بانشاء الصناعات ، والسيطرة على منابع الثروات الطبيعية والوصول الى درجة الكفاية الفنية والعلمية التى تمكنها من استغلال المواد الاولية وتحويلها الى مواد مصنوعة كلما كان ذلك ممكنا . ويرتبط بذلك تنمية موارد الثروة الزراعية والتوسع فيها بالقدر الذى يناسب عدد السكان وزيادة تعدادهم . وعلى العموم كل ما يؤدى لرفع مستوى معيشة الفرد ، وبالتالى مستوى ثقافته وتكوينه العلمى والفنى وقدرته على الانتاج وطاقته فى العمل ، مما يزيد اعتزازه بكرامته الانسانية ، وقدرته على السمو نحو المثل العليا والعقائد الروحية والاخلاقية متحررا من قيود الحاجات المادية وبؤس العيش .

ـ **الهدف الثانى :** قيام تلك الشعوب بدورها فى الحضارة الانسانية كشعوب حرة تشعر بالمساواة التامة ازاء غيرها من الشعوب . ويستلزم ذلك القضاء الكامل على بقايا السيطرة الاجنبية أو «الجيوب» الاستعمارية. ذلك ان الاستعمار ، عندما اضطر الى التراجع امام الكفاح الوطنى الذى خاضته شعوبنا ضد الاحتلال ، قد تنازل عن مصالحه الثانوية ، مصمما على حماية ما يسميه مصالحه « الجوهرية » لاطول مدة ممكنة ـ ولذلك يحاول ابقاء بعض القواعد و « الجيوب » فى انحاء متعددة من العالم الاسلامى واهم مثال لتلك « الجيوب المصطنعة » هى « اسرائيل » التى يحميها لانه يعتقد انها ستكون له نقطة ارتكاز او راس جسر يستخدمه عند اللزوم لحماية ما يعده « مصالح جوهرية » او ليطلق منه قواته ومؤامراته لضرب اى شعب يعتقد انه يهدد تلك « المصالح الجوهرية » .

والشعوب الاسلامية كغيرها من الشعوب النامية قادرة على تحطيم تلك القواعد المصطنعة اذا اقتنعت القوى الدولية التى تقف وراءها بأنها لا تستطيع المحافظة على مصالحها الا بالمحافظة على صداقة شعوبنا والتعاون معها ، وان الجسر الوحيد الذى تمر عليه مصالحهم هو جسر الصداقة والتعاون مع الشعوب الاسلامية على المستوى الانسانى ، مع الاعتراف الكامل بحقوق شعوبنا واحترام كرامتها وشرفها ومحو كل اثر من آثار السيطرة حتى ولو كانت سيطرة غير مباشرة عن طريق القواعد المصطنعة او الجيوب الدخيلة ، وان اساس التعاون بين المسلمين وغيرهم من الدول صغيرها وكبيرها هو الاحترام المتبادل والمساواة فى الكرامة ، والحقوق ومحاربة العدوان من اى جهة كان .

لا شك فى مقدرة شعوبنا

ان الاسلام قد اثبت فى الماضى والحاضر انه يعطى شعوبه قوة هائلة جبارة تهىء لها النصر ، وتفتح لها طريق العزة والمجد متى اتحدت ارادتها وحددت أهدافها وسارت فى طريق الكفاح والعمل متسلحة بايمانها وعقيدتها وتضحياتها .

هذه حقيقة تاريخية ثابتة لا يمكن أن يتجاهلها عدو ولا صديق ، ولا يجوز أن يغفلها أحد من حسابه . فاذا أعلنت تلك الشعوب عزمها على تحقيق هدف مشروع من أهدافها ، ثم مضت سنون طويلة دون ان تصل لهذا الهدف ولم تقترب منه — بل ربما ابتعدت عنه — فليس الذنب ذنبها وانما يجب البحث عن الخطأ فى الخطة التى وجهتها لها حكوماتها ودولها، او فى الطريق الذى اختارته للسير نحو ذلك الهدف . ولكن ليس من حقنا ان نشك لحظة واحدة فى مقدرة شعوبنا ولا فى انتصارها .

ففى المرحلة السابقة — مرحلة النضال الوطنى — كافح كل شعب من الشعوب الاسلامية وحده ، وكان أعزل بدون سلاح ولا دولة ولا جيش وكان معزولا عن اشقائه وجيرانه واخوانه ورغم ذلك كله ، انتصر واستطاع أن يحقق استقلاله الوطنى ، وان يفرض على القوى الاجنبية التى احتلت بلاده ، ان تتراجع وتخرج من وطنه وتسلم له باستقلاله وسيادته على أرضه — وهكذا انسحب اليونان من الاناضول ، وانسحب الانجليز من مصر ومن العراق والاردن ، وانسحب الفرنسيون من سوريا ولبنان ومن اقطار المغرب العربى واحدا بعد الاخر.

واليوم وقد استقلت تلك الشعوب واستردت حريتها ، لا يجوز لاحد من أبنائها ولا من غير أبنائها ان يشك لحظة واحدة فى استطاعة تلك الشعوب وهى مستقلة ، أن تحقق فى فلسطين ما حققه الشعب الجزائرى وحده فى الجزائر ، وان تحقق لكشمير ما حققته لشعب باكستان واندونيسيا ، وان تدافع عن حقوق الاتراك فى قبرص كما دافعت من قبل عن ارض الاناضول .

ثم اننا اذا رجعنا الى مقاييس التقدم الصناعى والانشائى لوجدنا ان نهضتنا بدأت فى الوقت الذى بدأت فيه نهضة اليابان التى نراها اليوم قد تحررت من حالة التخلف ، ونحن لم نتحرر بعد ــ فليس معنى ذلك ان شعوبنا أقل مقدرة من شعب اليابان ، او انها عاجزة عن ان تحقق ما يحققه شعب اليابان من معجزات فى ميدان الصناعة والعلم والرقى والنهضة وانما قد يكون معنى ذلك فقط اننا اخطأنا الطريق .

وعلينا أن نبحث عن هذا الخطأ وان نعالج اسباب العجز الذى تشعر به شعوبنا فى الوقت الحاضر عن حل مشاكلها وبناء اقتصادها وقوتها .

أسباب العجز الحالى

ما هو السر اذن فى ان تعجز شعوبنا ودولنا المتعددة فى أن تحقق ما حققه شعب « واحد » مثل شعب اليابان فى مجال النهضة الصناعية والفنية والعلمية ؟

ولماذا نذهب بعيدا الى الشرق الاقصى ؟ ان علينا ان نسأل انفسنا عن السر فى ان تعجز الشعوب الاسلامية المستقلة العديدة عن أن تحقق فى فلسطين أو فى كشمير ما حققه شعب « واحد » منها فى الجزائر او فى تونس أو فى مصر او فى سوريا مثلا .

قد تكون هناك اسباب كثيرة ، وقد يكون بعضها خارجا عن ارادتنا ، كالظروف الدولية ، أو الموقع الجغرافى او ملابسات القضية .

ولكن هناك سبباً يتبادر الى الذهن ، ولا يجوز لنا تجاهله ولا أن نسقطه من حسابنا ــ ذلك ان عجز شعوب متعددة عن تحقيق ما حققه شعب « واحد » قد يكون سببه أن هذا « التعدد » لم يكن مصدر قوة، ولا يكون التعدد مصدر ضعف الا اذا كان معناه الفرقة والانقسام والخلافات.

وعلاج هذه الفرقة لا يكون الا بأن تجمع هذه الشعوب كلمتها ، وتلم شملها ، وتوحد خطتها ، وتقدم على حماية مصالحها وتحقيق اهدافها متسلحة بوحدة الارادة وتضامن الشعوب .

علينا اذن أن نبحث عن الاطار الذى يمكن الشعوب الاسلامية من ان تتسلح فى نضالها الحالى بما كان كل واحد منها يتسلح به فى نضاله الوطنى من اتحاد وتضامن وعزم وايمان .

هذا الاطار الضرورى للتعاون والتضامن بين الشعوب الاسلامية يجب أن ينسجم مع ظروف عالم اليوم الذى تسوده التكتلات الدولية ، وتسيطر عليه حركة الوحدة العالمية ، وان ينسجم ايضا مع الدور الذى قامت به الشعوب الاسلامية فى حركة التكتلات الدولية فما هو هذا الدور؟

الفصل الثانى

دور المسلمين فى عالم التكنلات

عـــالم الوحـــدة

عالم اليوم هو عالم « الامم المتحدة » ،

يقصد بذلك اننا سائرون نحو « وحدة عالميـــة » . وهـــذه المنظمـــة العالمية انما هى اداة اختارتها شعوب العالم للتعاون فى سبيل هذا الهدف الموحـــد .

يقصد بذلك ايضا ان كل شعب من شعوب العالم يجب أن يهىء نفسه لهذه الوحدة ، وان كل مجموعة من شعوب العالم يجب ان تعد نفسها للعمل لها والانطلاق فى طريقها .

وكل شعب او مجموعة من الشعوب تسير فى غير هذا الطريق ، انما تلقى بنفسها فى اتجاه مضاد لسير العالم كله ، وتحكم على نفسها بالفناء ، كالنيازك التى تنفصل عن الكواكب السيارة اثناء انطلاقها فى مدارهـــا فتحترق فى الفضاء .

ولم تتم شعوب العالم عند حد انشاء المنظمة العالمية للامم المتحدة ، بل سارت مع منطق الوحدة والتكتل فانشأت منظمات اقليمية ، ومجموعات اقتصادية أو تاريخية ، وتكتلات سياسية لكى تقوم بنفس الدور الذى تقوم به الامم المتحدة ، ولكن فى نطاق اضيق أو لاهداف أقرب .

والمبرر لوجود تلك المنظمات والتجمعات فى عالم الأمم المتحدة هو أنها تعمل على تجميع الشعوب وتكتيلها وتمكينها من التعاون والتقـــارب ، للسير فى طريق التضامن العالمى والوحدة العالمية التى تعمل لها الامم المتحدة .

مرحلـــة التكتلات ادولية :

مرحلة التكتلات الدولية ، مرحلة تاريخية حتمية .

كما ان الحركات الوطنية والقومية كانت طبيعية وضرورية فى مرحلة معينة من مراحل التطور التاريخى ، فكذلك حركات التجمع والتكتلات بين شعوب العالم ودوله هى ضرورات طبيعية وحتمية فى عالم اليوم .

فحركة « القوميات » اجتاحت أوربا فى القرن التاسع عشر كضرورة لتصفية الامبراطوريات التى بنيت عـــلى الغزو العســـكرى والسيادة العنصرية . ثم انتقلت هذه الحركة الى شعوب آسيا وافريقيا بعد ذلك لنفس الغاية — وهى تصفية الامبراطوريات الاستعمارية الاوربية التى

كانت تفرض سيادتها ونفوذها على شعوب آسيا وافريقيا . والحركات الوطنية التى قامت بها جميع الشعوب الاسلامية تدخل ضمن اطار هذا الكفاح الوطنى ضد السيطرة الاجنبية والاحتلال الاستعمارى لاقطار العالم الاسلامى .

واليوم يشعر المسلمون ، كما تشعر جميع شعوب العالم باندفاع حتمى نحو التجمع والتكتل ، اذ لا يتصور أن يبقى المسلمون وحدهم متجاهلين للتيار العالمى الذى يدفع الشعوب نحو التكتل والتجمع .

وتيار التكتل والتجمع بين الشعوب الاسلامية ، كما هو بالنسبة لغيرهم، لا يمكن أن يكون نتيجة لنوازع عاطفية وقتية ، ولا ناشئا عن مصالح شخصية أنانية ، ولا ثمرة عوامل سياسية مصطنعة ــ بل هو على العكس من ذلك بالنسبة للمسلمين كما هو بالنسبة لغيرهم اتجاه حتمى تفرضه عوامل مادية واقتصادية وعلمية وحضارية واقعية لا يمكن تجاهلها ولا التهرب من آثارهـــا .

ان الاتجاه نحو التجمع والتكتل يفرضه واقع عالم اليوم ، عالم سرعة المواصلات واختصار المسافات ، عالم الطائرات والصواريخ ، عالم الصناعات الثقيلة والانتاج الكبير ، عالم الاقمار الصناعية وغزو الفضاء ، عالم لم يعد فيه مجال لحدود مقفولة بين الامم ، ولا لحواجز فاصلة بين الشعوب ، ولا لدول صغيرة معزولة أو منطوية على نفسها .

أن عالم اليوم هو عالم القارات ، عالم المجموعات البشرية الضخمة ، عالم الكتلة الغربية والكتلة الشرقية ، عالم مجموعة الدول الامريكية ، ومنظمة الوحدة الافريقية ، عالم الكتلة الاسيوية الافريقية ، عالم كتلة الدول غير المنحازة فى القارات الثلاث ــ فلا محل فيه لدول مفككة منعزلة متنازعة متفرقة .

سلسلة من التكتلات الدولية تحيط بالعالم :

يمكن القول بأنه لا توجد دولة فى العالم لا تضع نفسها داخل احـــدى الكتل أو المجموعات الدولية ، لان كل دولة أصبحت توقن بأن بقاءها لا يمكن أن يحميه الا مجموعة من الدول تحيطها أو تقف معها أو تؤيدها أو تدافع عنها . وهذا هو سر العدد الكبير من التكتلات القائمة فى جميع أنحاء العالم ومناطقه اليوم .

فدول أمريكا الشمالية والجنوبية تجمعها منظمة الدول الامريكية . والولايات المتحدة واوربا الغربية تجمعها منظمة « شمال الاطلنطى » .

وروسيا السوفياتية ودول اوربا الشرقية يجمعها « حلف وارسو » . ودول افريقيا تجمعها منظمة « الوحدة الافريقية » . والدول العربية تضمها « منظمة الجامعة العربية » . والدول الاسلامية غير العربية (تركيا وايران وباكستان) يضمها « الحلف المركزى » . ودول شرق آسيا يضمها « حلف جنوب شرقى آسيا » . ودول آسيا وافريقيا تشترك فى كتلة الدول الاسيوية الافريقية . ودول عدم الانحياز « تحاول تكوين مجموعة الدول غير المنحازة . والصين هى بذاتها كتلة ضخمة ، ومع ذلك فهى تحيط نفسها بمجموعة من الدول الشيوعية تحيط بها فى شرق ووسط آسيا .

هناك اذن شبكة عديدة العقد وسلسلة متشابكة الحلقات من التكتلات الدولية تحيط بالعالم وتغطى جميع انحائه وتشمل جميع مناطقه، بما فى ذلك دول العالم الاسلامى .

فما هو دور الشعوب المسلمة فى بناء هذه التكتلات ، وتجميع هذه المجموعات ، وما هى نتائج جودها فى هذا السبيل بالنسبة لمصالحها وقضاياها ؟

دور ايجابى مشرف للمسلمين

من الانصاف لشعوبنا الاسلامية ومن دواعى اعتزازنا بيقظتها ووعيها أن نقرر بأنها ساهمت بدور ايجابى كبير فى تكوين التكتلات الدولية القائمة فى العالم اليوم .

فاذا استثنينا منظمة الدول الامريكية التى يبعدها عنا واقعها الجغرافى ، وحلف وارسو الذى يبعده عنا اتجاهه المذهبى (الا اذا اعتبرنا ان مسلمى السوفيات كان لهم دور ايجابى فى تكوينه) باستثناء هاتين المجموعتين ، نجد ان جميع التكتلات والمجموعات الدولية الاخرى فى العالم ساهمت الدول الاسلامية والشعوب المسلمة فى تكوينها وفى تدعيمها ، ولا زالت تساهم باخلاص وصدق فى تسييرها وتحقيق اهدافها .

ليس ذلك فقط ، بل ان من الملاحظ ان الشعوب المسلمة والدول الاسلامية كان لها فى اغلب الاحيان زمام المبادرة فى الدعوة لانشاء التكتلات الموجودة حاليا فى قارتى آسيا وافريقيا جميعها بلا استثناء .

فأول منظمة اقليمية فى هاتين القارتين كانت الجامعة العربية التى انشئت قبل انشاء منظمة الامم المتحدة ، ولم تسبقها الى الوجود فى عالم المنظمات الدولية القائمة اليوم سوى منظمة الدول الامريكية .

ثم ان الدول العربية كان لها زمام المبادرة لانشاء مجموعة من الدول الناشئة النامية كانت تحمل اسم المجموعة « العربية الاسيوية » فى الامم المتحدة قبل مؤتمر باندونج وهى التى تحولت بعد ذلك الى مجموعة الدول الاسيوية الافريقية بعد استقلال عدد من الدول الافريقية وانضمامها لها ، مما هيأ الجو لانعقاد مؤتمر باندونج واعطى له اهميته التاريخية .

وكانت الدول العربية الاسلامية ، وما زالت ، صاحبة الدور الاكبر فى انشاء منظمة الوحدة الافريقية وتسييرها وخدمة اهدافها واغراضها . ولا يقل دورها عن ذلك فى تكوين مجموعة الدول غير المنحازة .

سر الحيوية والديناميكية لدى الشعوب الاسلامية

من المؤكد اذن ان الشعوب الاسلامية قامت بدور ايجابى عظيم فى هذه المرحلة التاريخية ، مرحلة التكتلات العالمية . يشهد بذلك عدد المجموعات والتكتلات الدولية التى ساهم فيها المسلمون ، واهمية مساهمتهم فى تكوينها وتسييرها ، حتى أمكن القول بأن الدور المشرف الذى قامت به الشعوب الاسلامية فى حركة التكتلات العالمية ، هو اكبر دور قامت به اى مجموعة دولية فى العالم كله ، وفى « العالم الثالث » على الاخص .

وسر هذه الحيوية « والديناميكية » التى اندفعت بها شعوبنا الاسلامية فى بناء التكتلات والمجموعات والسير فى طريق التجمع وتنمية روح التكتل بين الشعوب جميعا على اساس التضامن والتعاون ، سر ذلك بلا شك هو العقيدة الاسلامية القائمة على الاخوة بين البشر ، مصداقا لقول الرسول الكريم « **كلكم لآدم وآدم من تراب** » تلك الاخوة التى تفرض المساواة والتعارف والتعاون بين جميع الاجناس والشعوب والامم — مصداقا لقوله تعالى فى كتابه الكريم « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** » .

النتائج السلبية

يشعر المسلمون بأن الدور الايجابى الذى قاموا به — وما زالوا يقومون به — فى اطار التكتلات الدولية التى شاركوا فيها لم يؤد الى النتائج الايجابية التى كانوا ينتظرونها بالنسبة لمصالحهم الاساسية وقضاياهم الكبرى . ويتألمون لان هذه النتائج السلبية تتناقض مع دورهم الايجابى فى حركة التكتلات ومع كل ما أبدوه من اخلاص وما بذلوه من مجهودات فى سبيل تكوين التكتلات وتسييرها وتحمل التزاماتها . وهم

يذكرون مثلا لذلك : موقف الدول الاسلامية المشتركة فى منظمة الوحدة الافريقية ، التى تتحمل العبء الاكبر فى تسيير تلك المنظمة ، وقد وقفت دائما فى مقدمة المدافعين عن حقوق الشعوب الافريقية ضد الحكم العنصرى فى جنوب افريقيا وروديسيا — ومع ذلك فان كثيرا من الدول الافريقية المشتركة فى تلك المنظمة لا تقف نفس الموقف بالنسبة للعدوان الصهيونى العنصرى على شعب فلسطين . ومثل ذلك يقال ايضا بالنسبة لبعض زعماء « عدم الانحياز » الذين ينحازون فعلا الى جانب العدوان الصهيونى على حقوق شعب فلسطين — وكذلك بالنسبة لزعماء الدول التى لها مصالح « جوهرية » فى البلاد العربية ، ومع ذلك لم تشعر لحد اليوم بأن تلك المصالح الهامة تستدعى تأييد وجهة نظر الدول العربية فى فلسطين .

والمسلمون يندهشون ايضا عندما يرون دولة اسلامية كالباكستان ارتبطت بحلفين عسكريين ، ومع ذلك فان حلفاءها لا يعتبرون ذلك سببا كافيا لالزامهم بتأييدها فى الدفاع عن حق شعب كشمير فى تقرير مصيره — ولا مانعا لهم من التسابق مع السوفيات على امداد الهند المعتدية على كشمير بالسلاح والمال رغم انها لم تشترك معهم فى احلاف .

وفى نطاق التصنيع والتنمية ورفع مستوى المعيشة تشعر الشعوب الاسلامية بأنها لم تحقق فى هذه الناحية نتائج ايجابية من انضمامها الى تلك التكتلات . وهى بالطبع لم تكن تتوقع كثيرا من جانب الدول النامية المشتركة معها فى الكتلة الاسيوية الافريقية ، أو مجموعة الدول غير المنحازة أو منظمة الدول الافريقية ، ولكنها كانت تتوقع اكثر من ذلك من جانب الدول الكبرى التى تربطها مع عدد من الدول الاسلامية احلاف عسكرية أو مصالح جوهرية .

النتائج المضادة والعكسية

قد لا ينسى المسلمون ان من واجبهم الاعتماد على انفسهم للدفاع عن حقوقهم ومصالحهم ضد كل عدوان ، — سواء كان هذا العدوان فى فلسطين أو كشمير أو قبرص أو الصومال أو غيرها — وانه ليس من حقهم ان يعللوا عجزهم وفشلهم فى هذا الدفاع بتكاسل شركائهم واصدقائهم الافارقة أو الاسيويين أو غيرهم من الغربيين أو الشرقيين . ولكنهم يظنون ان ارتباطات بعض شعوبهم فى تلك المجموعات لم يقتصر اثره على سلبية موقف شركائهم ، بل تعداه الى ما هو اخطر من ذلك واشد

ضررا على وحدتهم ومصالحهم . فاذا كانت بعض الدول الاسلامية تقف موقفا من اسرائيل يناقض موقف غالبية الدول العربية والاسلامية ، فانهم يعللون ذلك بارتباطها ببعض التكتلات ، وتأثير حلفائها عليها ، واضطرار تلك الدول الاسلامية ، أو رغبتها فى ان تجارى موقف شركائها بالنسبة لاسرائيل . ويعتقد كثيرون أن مثل هذه التناقضات التى وجدت بصفة فعلية داخل المجموعة الاسلامية نتيجة للارتباطات الخارجية هى التى دفعت بعض الدول الاسلامية الاخرى الى ان تقف موقفا متخاذلا من قضية كشمير أو قبرص ، أو الى أن تؤيد صراحة موقف المعتدين على حقوق شعب كشمير وحقوق مسلمى قبرص وارتريا والصومال .

فالمسلمون اليوم يتألمون حينمايرون أن اندفاعهم الحماسى ، ومساهمتهم الايجابية فى حركة التكتلات الاقليمية ادى فى نظر كثير منهم الى نتائج مضادة : هى تفتيت وحدة الشعوب الاسلامية ، وخلق تناقضات بين مصالحها السياسية ، وبالتالى ضياع مصالحها المشتركة وقضاياها الجوهرية ، وعجزها الواضح أمام تلك المشاكل ، وفشلها فى التغلب عليها ، وعجزها بالتالى عن تحقيق اهدافها فى التنمية الاقتصادية ورفع مستوى المعيشة — لبقائها منشغلة بتلك القضايا الاساسية التى تعوق تفرغها لمعركة البناء والانشاء والتنمية .

الاختيار

هذا هو واقع العالم الاسلامى ، فى نظر كثير من المسلمين . وهو واقع لا يرضى طموحهم ولا يحقق مصالحهم ولا يمكن لهم أن يستسلموا له .

ولكن ما هو العلاج لهذه الحال ؟

من السهل ان يلقى المسلمون على غيرهم تبعة فشلهم وان يعتبروا مواقف الافارقة أو الاسيويين ، أو الغربيين هى السبب فى عجزهم عن حل قضاياهم الكبرى ، مثل قضية فلسطين وكشمير ، والصومال ، وقبرص ، وقضايا التنمية الاقتصادية والصناعية . ومن السهل ايضا ان يتقدم السذج والبسطاء والمتلبون بعلاج معلب مغلف مستورد من الخارج ، يتلخص فى أن يبحث المسلمون عن « حلفاء » آخرين غير الافارقة وغير الاسيويين وغير الغربيين — وخصوصا اذا كانت يد هؤلاء الاصدقاء الجدد ممدودة دائما ، وان كنا لا نعلم ماذا فى اليد الاخرى التى يخفونها وراء ظهورهم .

*** هناك اذن من يدعو المسلمين الى ان يفتحوا أبوابهم وقلوبهم لدعوة الحلفاء الجدد ، ولما تحمله تلك العوة من مذاهب وعقائد ومخاطر .**

*** وهناك من يعترض على ذلك — ويرى أننا لم نصل الى درجة من اليأس ولا من الضعف لكى نلقى بأنفسنا فى أحضان احدى الكتلتين لتحل لنا قضايانا وتنصرنا على اعدائنا وتريحنا من جهل أصدقائنا وعبثهم بنا وبمصالحنا — بل هناك طريق الاعتماد على أنفسنا ، وعلى تاريخنا وعلى عقائدنا ، وعلى شخصيتنا .**

هؤلاء هم حملة لواء الدعوة الى التضامن الاسلامى ، اذ يرون فيه العلاج الوحيد ، والاخير لمشاكل المسلمين وقضاياهم ، والضمان الاكيد لمستقبلهم وشخصيتهم وعقائدهم ومذاهبهم واستقلالهم وحريتهم — وعلى المسلمين أن يختاروا ... بين الدعوتين !!

الفصل الثالث

أسس التضامن الإسلامي

التضامن بين المسلمين حقيقة واقعة .

التضامن الاسلامى ليس فكرة خيالية ، ولا املا لم يتحقق ، ولا هدفا ينبغى العمل لتحقيقه بل هو حقيقة واقعة .

ولا يجادل فى هذه **الحقيقة** احد من المسلمين ، ولا من غير المسلمين — حتى أن من يعارضون دعوة التقارب الاسلامى لا ينازعون فى وجود هذا التضامن ولا يشكون فى حقيقته ولا ينكرونها ، وانما يقولون ردا على اصحاب الدعوة .. « ان التضامن بين المسلمين اسمى من كل علاقة سياسية » ولذلك يجب أن يبقى فوق التنظيمات « السياسية » ، وفوق الارتباطات والتكتلات الدولية » ..

لماذا اذن يقر الجميع بحقيقة التضامن الاسلامى ، ولا ينازع فيه احد؟ لان هذا التضامن عقيدة كامنة فى قلب كل مسلم ، لا تنفصل عن ايمانه بوحدة الله ووحدة البشر ووحدة المسلمين فى ظل اخوة الاسلام ، وما يتفرع عن تلك الاخوة الاسلامية من حقوق والتزامات متبادلة بين المسلمين ، افرادا وجماعات .

والتضامن الاسلامى يتجسم فى وجود « الجماعة الاسلامية » التى تربط بين المسلمين وتمثلهم وتكون عنصرا من العناصر الاساسية فى قواعد الفقه والشرع والقانون الذى ينظم حياة الافراد والجماعات الاسلامية ابتداء من الاسر الى القبائل والشعوب والدول .

هذه « الجماعة » الاسلامية هى التى نعبر عنها اليوم بلغة عصرنا الحاضر ، باسم « مجموعة الشعوب الاسلامية » .

هذه « المجموعة الاسلامية » موجودة اذن ، ويؤمن بوجودها وحقيقتها كل مسلم — وهى تربط بين المسلمين جميعا مهما تباعدت اوطانهم او تباينت اجناسهم والوانهم ، ومهما اختلفت مذاهبهم وآراؤهم وافكارهم — ومهما تعارضت مصالحهم ايضا فى بعض الاحيان .

والتضامن الاسلامى حقيقة اصيلة ، بعيدة الجذور فى اعماق التاريخ ، وجدت ، ولا تزال موجودة منذ اكثر من اربعة عشر قرنا من التاريخ المشترك ، والامجاد المشتركة ، والحياة المشتركة ، والثقافة المشتركة ، والمصالح المشتركة .

والتضامن الاسلامى يشمل المسلمين فى جميع اوطانهم واقطارهم ودولهم وهو لذلك حقيقة ضخمة فى واقع عالم اليوم : ضخمة اولا من الناحية الجغرافية ، لانها تمتد من بحار الصين فى أقصى الشرق الى المحيط الأطلسى فى أقصى الغرب فهى ضخمة المساحة والحجم . وهى ايضا

ضخمة من الناحية البشرية اذا قيست بموازين الاحصاء ، لانها تضم سبعمائة مليون من البشر من جميع العناصر والالوان والاجناس .

هذه الحقيقة الواقعة للتضامن الاسلامى لا يجوز اهمالها ولا يمكن انكارها ، ويكون من الخطأ أن يتجاهلها أهلها أو غيرهم ممن يعيشون معهم فى عالم اليوم .

عوامل التجمع .

بقى علينا أن نختبر « خصوبة » التضامن الاسلامى من حيث توفر عوامل التكتل والتجمع السياسى فى نطاقه .

فاذا نظرنا الى التكتلات الدولية المعاصرة لنعرف الاسس التى بنيت عليها والعوامل التى ارتكز عليها بناؤها ، وجدنا أن أول تلك العوامل هو العامل الجغرافى تليه العوامل التاريخية والسياسية والعوامل الاقتصادية . وكل مجموعة أو منظمة دولية يغلب عليها احد تلك العوامل تأخذ صفة المنظمة الاقليمية ، أو المجموعة التاريخية او الكتلة السياسية او الحلف العسكرى او المجموعة الاقتصادية . ولكن تغلب احد العوامل فى تكوين المجموعة او الكتلة الدولية ليس معناه عدم توفر العوامل الاخرى كلها أو بعضها .

فاعتبار الجامعة العربية ومنضمة الدول الامريكية منضمات اقليمية ليس معناه عدم توفر العامل السياسى او العسكرى ، ولا العامل الاقتصادى فى تكوينها بل معناه فقط أن العامل الاول فى هذا التجمع هو وحدة الاقليم أو التقارب الجغرافى . والى جنب الجامعة العربية ومنظمة الدول الامريكية توجد تكتلات أخرى يغلب عليها الطابع الاقليمى ، مثل منظمة الوحدة الافريقية ، ومجموعة الدول الاسيوية الافريقية .

وهناك مجموعات دولية يحل فيها العامل التاريخى محل العوامل الاقليمية والجغرافية — مثل الكومونولث البريطانى (مجموعة الشعوب البريطانية) ومجموعة الدول الافريقية المجاشية (التى كانت ضمن الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية فى افريقيا) كما توجد دعوة حديثة — لم يعرف مصيرها بعد — نادى بها الرئيس بورقيبة لتكوين مجموعة الدول الناطقة بالفرنسية فى آسيا وافريقيا . كل هذه المجموعات ذات طابع تاريخى لانها تحل محل الامبراطوريات الاستعمارية السابقة البريطانية أو الفرنسية ، وليس لها أساس جغرافى أو اقليمى .

والأهم من ذلك هى التكتلات الدولية على أساس سياسى أو عسكرى ،وتشمل دول أوربا الشرقية التى تكون الكتلة الشرقية ويضمها حلف « وارسو » ، ودول الكتلة الغربية التى يضمها حلف شمال الاطلنطى . يضاف الى ذلك الحلف المركزى وحلف جنوب شرقى آسيا .

أما العوامل الاقتصادية فقد أخذت تبرز أهميتها فى عالم التكتلات الدولية منذ انشاء السوق الاوروبية المشتركة ، الذى يوشك أن يتطور الى وحدة سياسية أوربية . وعلى هذا النمط بدأت حركة وحدة المغرب العربى بين دول شمال افريقيا العربية الاربعة لتنسيق اقتصادياتها وتنمية تعاونها ، وفى المشرق العربى توجد السوق العربية المشتركة التى ساهمت فيها بعض الدول العربية .

وواجب كل باحث منصف قبل أن يصدر حكما على دعوة التضامن الاسلامى أن يستعرض أوضاع العالم الاسلامى للبحث عن مدى توفر عناصر التجمع التى قامت عليها المجموعات الدولية التى اشرنا اليها ، وهذا ما سنحاوله الان : ـ

العامل الجغرافى (الاقليمى) :

من الطبيعى أن تكون بين الدول المتجاورة علاقات تاريخية وثقافية ولغوية وجنسية واقتصادية وتجارية أقوى مما بينها وبين الدول البعيدة عنها ـ لذلك فان التكتل الجغرافى أو الاقليمى ليس اساسه التجاور ، الاقليمى وحده ، وانما يعتمد على العوامل الاخرى للتقارب التى تنتج عن هذا الجوار وترتبط به مثل التقارب اللغوى أو الجنسى أو الثقافى أو الاقتصادى .

واذا نظرنا الى خريطة العالم الاسلامى ، وجدناه يشمل رقعة فسيحة متماسكة من سطح الكرة الارضية ، فى ملتقى القارات الثلاث الكبرى ـ آسيا وافريقيا وأوربا ـ وهى تمتد من بحار الصين شرقا الى المحيط الاطلسى غربا ، ومن حدود السوفيات وأوربا الجنوبية شمالا الى المحيط الهندى ووسط افريقيا جنوبا . فلو لم يكن بين المسلمين الا هذا الاندماج الاقليمى وهذا الاتصال الجغرافى بين اقطارهم ـ وما يترتب عليه من تشابك السلالات واختلاط الاجناس والعناصر ، وترابط المصالح المادية والثقافية والروحية ـ لكان ذلك وحده ، فى نظر كل مفكر منصف مجرد عن الهوى ـ كافيا لكى تكون الشعوب الاسلامية مجموعة اقليمية عالمية تشغل « المنطقة الوسطى » للعالم القديم ، التى تشمل ما يسمى عادة « بالشرق الاوسط « والشرق الادنى » « والشمال الافريقى » .

والعوامل الجغرافية والاقليمية التى أوجدت الجامعة العربية يوجد مثلها وأكثر منها بين دول المجموعة الاسلامية ، ولكن على نطاق أوسع واضخم . وقد كان طبيعيا أن يكون التجمع العربى سابقا على اى تجمع اسلامى ، ولكن من الطبيعى ايضا أن يكون التجمع العربى نواة لهذا التكتل الكبير ، وخطوة فى سبيله . وقد كان التجمع العربى خطوة فى سبيل تكون المجموعة العربية الاسيوية ، ثم الكتلة الافريقية الاسيوية ،

ثم منظمة الوحدة الافريقية ، فمن الواجب كذلك أن يكون خطوة فى سبيل تكوين مجموعة للشعوب الاسلامية .

وكما ان وجود الجامعة العربية لم يكن مانعا من اشتراك بعض الدول العربية او كلها فى تجمعات أوسع كمنظمة الوحدة الافريقية ، أو مجموعة الدول ، غير المنحازة مثلا ، فضلا عن الكتلة الاسيوية الافريقية . فكذلك لا يمكن ان يكون حائلا دون اشتراكهم او اشتراك بعضهم فى تجمع اسلامى فى اطار اقليمى أوسع نطاقا من الجامعة العربية ، واضيق نطاقا من الكتلة الاسيوية الافريقية او كتلة عدم الانحياز .

العامل التاريخى .

يوجد فى عالم اليوم كتلة دولية محترمة تسمى « مجموعة الشعوب البريطانية » تشترك فيها الهند وباكستان وغيرهما من دول آسيا وافريقيا واوربا وامريكا التى لا يربط بينها واقع جغرافى ولا اقليمى ولا دينى ولا عنصرى . وكل ما يربط بينها هى علاقة تاريخية باعتبارها كانت جزءا من الامبراطورية الاستعمارية البريطانية . فالباكستان ، وهى دولة اسلامية اسيوية ، ترتبط فى هذه المجموعة بغانا الافريقية ، وشمال ايرلندا فى أوربا وكندا فى امريكا — ولم يقل أحد ان الرابطة التى تربط شعب الباكستان بتلك الشعوب — نتيجة لتبعيتها السابقة للامبراطورية البريطانية — اقوى من الرابطة التى تربطها مع الشعوب الاسلامية الاخرى فى ايران ومصر والمغرب مثلا والتى هى ثمرة تاريخ مجيد من الحضارة الاسلامية والوحدة الاسلامية منذ عهد الامويين الى عهد العثمانيين .

ان الشعوب التى كانت تجمع بينها فى الماضى سلطة سياسة واحدة ، قد تتجه الى التجمع مرة ثانية بمحض اختيارها ، وعلة ذلك أن الظروف التاريخية التى عاشتها تلك الشعوب فى ظل تلك السيادة المشتركة تركت فيها طابعا مشتركا .. سواء من حيث الجنس او الدين او اللغة او الثقافة او الحالة الاجتماعية او المصالح الاقتصادية — وهذا الطابع المشترك هو الذى يدفعها الى التجمع والتكتل . فاذا راعينا القرون الطويلة التى عاشتها البلاد الاسلامية فى ظل وحدتها السياسية ، وقارناها بعمر الامبراطورية البريطانية او الفرنسية ، اقتنعنا بان الطابع المشترك الذى تركته الوحدة الاسلامية فى الشعوب الاسلامية لا يمكن أن يكون اقل مما خلفته تلك الامبراطوريات الاستعمارية الاجنبية ، وانه اذا وجدت مجموعة للشعوب البريطانية ، ومجموعة للدول الافريقية المجاشية التى كانت ضمن الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية ، فمن باب أولى يجب أن توجد مجموعة تضم الشعوب الاسلامية التى عاشت أربعة عشر قرنا فى ظل وحدة اسلامية . ولا ينبغى ان نغفل فى باب المقارنة ان رابطة

« الشعوب البريطانية » او « المجموعة الفرنسية » انما هى وليدة امبراطوريات استعمارية اجنبية فرضت سيطرتها على الشعوب التى تدخل اليوم فى تلك المجموعات ، رغم أنها ثارت ضد تلك الامبراطوريات الاستعمارية البريطانية او الفرنسية واستقلت عنها — فى حين ان التضامن الاسلامى وليد حضارة اسلامية وامبراطورية اسلامية ، لا امبراطورية اجنبية استعمارية ، وان الشعوب الاسلامية لم تنفصل عنها برغبتها وانما فرض عليها هذا الانفصال فرضا بواسطة غزو اوربى واحتلال استعمارى اجنبى مزق وحدة العالم الاسلامى وفصل اقطاره بعضها عن بعض .

ويلاحظ كذلك ان مجموعة الشعوب البريطانية او مجموعة الشعوب الناطقة بالفرنسية لا تجمع بينها رابطة جغرافية او اقليمية تدعم العلاقات التاريخية ، بعكس مجموعة الشعوب الاسلامية فانها هى المجموعة الوحيدة من شعوب العالم التى تتوفر لها الوحدة الجغرافية والاقليمية الى جانب الوحدة التاريخية ، فضلا عن العناصر الاخرى من عناصر التكتل مثل وحدة المصالح السياسية والاقتصادية كما سنرى .

العوامل السياسية :

كل تجمع دولى ، مهما يكن الطابع الذى يتميز به ، يفترض حدا ادنى من المبادىء المشتركة تجمع بين الدول الداخلة فيه . حتى الامم المتحدة التى يفترض فيها انها منظمة عالمية ، لا يقبل فى عضويتها الا الدول التى تلتزم بمبادئها التى نص عليها ميثاقها — وهذه هى حجة الامريكيين فى اعتراضهم على دخول الصين الشعبية رغم انها اكبر دولة فى العالم من حيث سكانها .

والذى يحدد المبادىء التى يقوم عليها التكتل الدولى هى اهدافه واغراضه التى تتفق عليها الدول المؤسسة ، والتى ينص عليها فى ميثاق المجموعة او المنظمة ان وجد لها ميثاق مكتوب . وهذا هو العنصر المذهبى فى كل تكتل دولى .وقد قاسى العالم من حدة الصراع المذهبى بين الكتلتين الشرقية والغربية المتصارعتين على السيطرة العالمية ، وانتهى الامر باتفاق عالمى على ان يكون لكل شعب — وكل مجموعة من الشعوب — حريته الكاملة فى اختيار مذهبه ، وحقه الكامل فى الدفاع عن عقيدته ونظمه وعلى ان تمتنع الدول الاخرى من التدخل فى شؤون اى شعب او مجموعة من الشعوب — لفرض مذهب آخر عليه ، وهذا هو ما يسمى فى العرف الدولى بمبدأ « التعايش السلمى » .

فكل دولة او مجموعة من الدول لها الحرية الكاملة فى اختيار عقائدها ومذاهبها وفى الدفاع عنها ، بشرط واحد ، هو الا يكون لهذه العقائد او المذاهب طابع عدوانى ، اى الا تكون وسيلة لفرض سيطرة عالمية

بالقوة . وتهمة العمل لفرض السيطرة العالمية توجها الكتلة الغربية الى الكتلة الشيوعية بحجة أن مذهبها يقوم على الثورة العمالية العالمية ، اى القضاء على الطبقة الراسمالية والبورجوازية فى جميع انحاء العالم ومقابل ذلك يتهم الشيوعيون كتلة الدول الغربية بأن لها نيات عدوانية بدليل وجود هذه المجموعة من الاحلاف العسكرية والقواعد الحربية التى تحيط بالكتلة الشيوعية احاطة السوار بالمعصم . اما المسلمون فان احدا لا يمكن أن يفكر فى أن يتهمهم بانهم يتجمعون لفرض سيطرتهم على العالم . فهم لا يفكرون الا فى أن يتمتعوا فى بلادهم بحرية العقيدة والراى والا تفرض عليهم احدى الكتل الدولية الكبرى مذهبا اجنبيا عنهم . بل أن احدى الدول الكبرى — او الكتل الدولية الطامعة فى السيطرة — اذا اعترضت على تكتلهم لحماية عقائدهم فانها بذلك تكشف عن نياتها العدوانية وتعترف مقدما بانها تريد فرض مذهبها وعقيدتها عليهم ،تطبيقا للمبدأ القائل « يوشك المريب أن يقول خذونى » .

هذا الاتجاه الى فرض سيطرة عقائدية خارجية على المسلمين لايمكن ان يقبله المسلمون ، لانه لا يقل فى نظرهم عن الاتجاه الى فرض سيطرة سياسية أو عسكرية . وبقدر ما يعارضون كل سيطرة اجنبية من اى نوع فانهم يعارضون السيطرة الاجنبية العقائدية أو المذهبية ، لانهم يعتبرونها دائما خطوة فى سبيل السيطرة السياسية والعسكرية الاجنبية كما اثبتت تجارب التاريخ ذلك ، وخصوصا التاريخ الحديث جدا .

ولو لم يكن للتضامن الاسلامى من ميزة الا انه يسد على المسلمين بابا يأتى منه النفوذ العقائدى الاجنبى ، وما يتبعه من سيطرة عقائدية تتبعها سيطرة سياسية ، لكان هذا وحده كافيا لتبرير وجوده وتدعيمه واصرار المسلمين عليه والتفافهم حوله .

العوامل الاقتصادية :

ان التطور الفنى والصناعى الحديث يفرض على العالم ان يطور علاقاته الاقتصادية على اساس ضخامة الانتاج ، التى تستلزم امكانيات اقتصادية وجغرافية ومالية تتجاوز حدود القوميات الضيقة التى ورثها العالم عن القرن التاسع عشر . فهناك صراع بين مقتضيات التعاون الاقتصادى فى العالم الحديث ومقتضيات السيادة القومية الجامدة التى ورثناها عن الأجيال السابقة . والذى سوف ينتصر فى هذا الصراع بلا شك هو ضرورات التعاون الاقتصادى . وعلى المسلمين كغيرهم من شعوب الأرض أن يعدوا نظمهم ومجتمعهم للتطور فى هذا الاتجاه الحتمى ولا سبيل لذلك الا بالكتلات الاقتصادية الضخمة التى تتجاوز حدود القوميات الوطنية الضيقة .

فضلا عن هذا العامل العالمى فان شعوب العالم الاسلامى تعيش فى مساحات شاسعة متباينة الاجواء متنوعة الثروات ، فمن الطبيعى أن تكون تنمية المبادلات بينها مفيدة لكافة شعوبها . ثم انها تملك ثروات طبيعية ضخمة لا يمكن لشعب واحد أن يسيطر عليها او ان يستغلها بمفرده ، فلابد من تنسيق جهود مجموعة الشعوب الاسلامية فى هذا الاستغلال ، حتى يمكن استثمارها فى مجال التصنيع وتنمية الثروات القومية وتشغيل الايدى العاملة فى المناطق المزدحمة بالسكان . ان بعض مناطق العالم الاسلامى يتميز بقلة السكان وبعضها على العكس من ذلك يئن تحت ضغط الزيادة السنوية المتصاعدة فى تعداد السكان . ولا يمكن أن تستقر حالة الاولى او الاخيرة الا بتخطيط مشترك لتنسيق جهودها فى تشغيل السكان واسكانهم وتكوين الاطارات وتوزيعها . لذلك كان موقف جمهورية الباكستان حكيما وايجابيا عندما ابرزت اهمية الناحية الاقتصادية فى بناء التضامن الاسلامى وفى تنمية التعاون بين شعوبه على أساس التكامل الاقتصادى وتبادل الخبرات الفنية والمعونات المالية والاقتصادية والمنتوجات الصناعية والزراعية والمواد الاولية . وكان اولى بمثل هذا الموقف الايجابى العملى ، زعماء بعض الدول التى تعانى شعوبها مصاعب اقتصادية خطيرة لا تغنى فى مواجهتها المجادلات العقائدية ولا المستوردات المذهبية التى لاتملأ البطون ولا تشبع الجائعين.

كان من واجب قادة المسلمين جميعا ان يبادروا الى اتخاذ فكرة التضامن الاسلامى اطارا لتعاون اقتصادى عملى جدى بين الشعوب الاسلامية جميعها فى اقطارها الفسيحة المترامية الاطراف . وما زال هذا الباب مفتوحا ، فان موضوع التضامن الاسلامى لا يجوز ان يفصل فيه بخطب مرتجلة ، وتصريحات صحفية ، ومهاترات سياسية ، لانه اكثر جدية من ذلك . وقد آن للمسلمين أن يأخذوا أمورهم بعين الجد ، وأن ينظروا لمشاكلهم بعين الواقع المادى والاقتصادى والعملى ، وأن يتجردوا فى بعض الأحيان على الاقل — من الاعتبارات الحزبية أو الطائفية أو الاقليمية وأن يتركوا الكلمة للخبراء والفنيين فى كل ما له علاقة بالتعاون الاقتصادى والفنى والمالى . وتدعيم التضامن الاسلامى فى النواحى الاقتصادية لا يمكن أن يقوم عليه أى اعتراض معقول ولا أن تحول دونه حجج نظرية جوفاء ، بل انه يمكن أن يشغل مئات الخبراء وعشرات اللجان فى جميع انحاء العالم الاسلامى شهورا وأعواما لدراسة امكانياته وتخطيط توجيهه وبناء مؤسسات شعبية وحكومية ودولية على أساسه .. وهذا هو بالضبط ما يطلبه الداعون الى التضامن الاسلامى فما هو مضمون الدعوة ؟ .

الفصل الرابع

مضمون الدعوة للتضامن الإسلامي

تجمع حضارى بناء لا تكتل سياسى ٠

اذا تأكد أن التضامن بين المسلمين حقيقة واقعية ملموسة يقر بها الجميع ، وأن عناصر التضامن وعوامل التجمع بين الشعوب الاسلامية متوفرة متعددة متينة سواء من الناحية الاقليمية الجغرافية اومن النواحى التاريخية والاقتصادية والسياسية ، فان هذا يوجب علينا الاقرار بأن **« التضامن بين المسلمين اسمى من أى رابطة سياسية وأقوى من أى تكتل سياسى »** ٠

غير أن بعض معارضى حركة التجمع الاسلامى يستندون الى هذه الحقيقة للقول بأن لا ضرورة لهذه الدعوة ولا فائدة منها ، لانها تحصيل حاصل . ومصدر هذا الزعم هو سوء فهم مضمون الدعوة واهدافها . ان كثيرا ممن يعارضون دعوة التجمع الاسلامى بحسن نية يظنون أن الغرض منها ايجاد تكتل سياسى جديد مماثل للتكتلات السياسية القائمة حاليا فى آسيا وافريقيا والتى تشترك فيها الدول الاسلامية كل بحسب ظروفها واتجاهاتها ومصالحها . ومعنى ذلك فى نظرهم أن اقل مايوصف به التكتل الجديد انه مجرد تكرار للتكتلات الحالية لا يضيف شيئا لواقع العالم الاسيوى الافريقى سوى البلبة والتعقيد والغموض ٠

ولكن هذا النظر الخاطىء يكفى لدحضه أن نوازن بين حقيقة التكتلات القائمة حاليا ، وبين التجمع الاسلامى . فان تلك التكتلات سياسية بحتة فى طبيعتها واسسها وفى اهدافها ومضمونها . أما التجمع الاسلامى فهو يتجاوز الاطار السياسى فى اهدافه ومضمونه واسسه وطبيعته ، وينقلنا الى مرحلة التجمع الانشائى والتعاون البناء فى جميع مظاهر حضارتنا المشتركة : حضارة الاسلام التى صهرت شعوبنا وجمعت بينها قرونا طويلة فتركت فيها طابعها المشترك فى نواحى الفكر والعقيدة والاجتماع والاقتصاد والسياسة . وهو بذلك خطوة تقدمية فى حركة الوحدة العالمية تهدف الى تعميق حركات التكتل . وتقويتها وتدعيمها لتدفع الشعوب فى طريق الاندماج ٠

مرحلة جديدة فى التعاون العالمى :

اذا استثنينا جامعة الدول العربة وجدنا ان التكتلات السياسية فى آسيا وافريقيا والتى تساهم فيها الدول الاسلامية حاليا — لم تتجاوز بعد مرحلة التكتل السياسى البحت الذى تعتبره الدول المشتركة فيه اداة لحماية استقلالها وتدعيمه ، لا لتقييده ولا للحد منه . ذلك أن اغلب الدول المشتركة فى تلك التجمعات هى دول صغيرة ناشئة ، حصلت على

استقلالها بعد نضال مرير وكفاح طويل وتضحيات غالية ، فيصعب عليها ان تقبل التخلى عن بعض مظاهر استقلالها وسيادتها الوطنية التى حصلت عليها حديثا بفضل كفاحها الوطنى .

هذا العامل السيكلوجى لدى الشعوب الناشئة هو الذى جعلها لاتبادر الى التجمع او التكتل الا تحت ضغط عوامل (سياسية) كالخوف من خطر يهدد استقلالها من جانب احد جيرانها او من جانب احدى الكتلتين العالميتين أو هما معا — هذا هو الهدف السياسى للدول المشتركة فى منظمة (الوحدة الافريقية) او مجموعة الدول الآسيوية الافريقية ، او دول عدم الانحياز .

ولكن شعوب العالم تشعر اليوم بالحاجة الى تجمعات اقوى من هذه التكتلات (السياسية) تفتح لها باب التعاون الانشائى فى النواحى الحضارية كلها سواء فى ذلك الثقافة والاقتصاد والتجارة والصناعة والمواصلات ، استجابة لمقتضات التطور العلمى والواقعى للحضارة البشرية . ولا يمكن ان يتم ذلك الا بين شعوب تشعر بان رابطة التضامن التى تربط بينها اسمى من كل رابطة سياسية حالية واقوى من كل اعتبار سياسى وخاصة اعتبارات السيادة القومية ، والاستقلال الوطنى والحدود الاقليمية . وقد شهد الجميع بان رابطة التضامن الاسلامى ترشح الشعوب الاسلامية لهذا النوع من التجمع الانشائى البناء . ونحن نرى دول أوربا القديمة العريقة فى الاستقلال وفى المدنية تسير فى طريق الاندماج الاقتصادى الذى يحد من سيادتها ويقيد من حرية كل دولة منها وهى تسير فى ذلك راغبة مختارة ، لان ما بينها من شعور بالتضامن والتقارب فى جميع مظاهر الحضارة والمدنية اقوى من كل اعتبارات السيادة الوطنية والمنازعات السياسية . أما دول افريقيا وآسيا الناشئة التى تعانى من التخلف الاقتصادى والحضارى ، فانها رغم ذلك لم تصل بعد الى مرحلة من التضامن والتقارب تدفعها الى التغاضى عن الاعتبارات السياسية والسير فى طريق الاندماج الفعلى الشامل لكل النواحى الحضارية والمدنية الحديثة ، وانما تكتفى بالتكتلات السياسية لتحقيق اهداف سياسية مشتركة ، أو الدفاع عن مواقف سياسية معينة دون ان تفكر تفكيرا جديا فى ايجاد مؤسسات شعبية او حكومية مشتركة ولا فى التخلى عن بعض سلطاتها لتلك المؤسسات ولو كانت مجرد مؤسسات ثقافية او فكرية او اجتماعية او اقتصادية .

أما الشعوب الاسلامية فانها شعرت بان ما بينها من عوامل التضامن والتقارب التاريخى والجغرافى والثقافى والاقتصادى يؤهلها الى أن تخطو الى الامام خطوة ايجابية جديدة التعاون بينها فى جميع نواحى التضامن ، **وعلى زعمائها وقادتها ان ياخذوا زمام المبادرة فى هذه الخطوة الجديدة وفاء لما قامت به شعوبهم من قبل من مبادرات سابقة فى ميدان التكتلات الدولية كى تكون خطوتهم قدوة صالحة للشعوب الناشئة الشقيقة فى آسيا وافريقيا فى تدعيم التعاون بينها وتقوية الاتجاه العالمى نحو التضامن والوحدة .**

مضمون عملى واقعى غنى بالامكانيات :

ان الدول الناشئة التى تربطها تكتلات سياسية فى افريقيا وآسيا تحاول ان تخلق روح تضامن بين شعوبها تحت ضغط العوامل السياسية ، من اجل اهداف سياسية مشتركة . اما الشعوب الاسلامية ، فان التضامن بينها قائم وثابت وقديم لا يحتاج الى عوامل سياسية لتدعيمه، وكل ما يجب على المسلمين هو تنظيمه واستثماره .

فدعوة التجمع الاسلامى تهدف اذن الى غايتين .

الاولى — تنظيم المؤسسات الشعبية والحكومية التى توثق تعاون المسلمين وتدعمه وتوحد خططها وجهودها وتوجهها نحو الاهداف المشتركة.

الثانية — استثمار القوة المستمدة من تضامن المسلمين وتعاونهم من اجل مصالحهم المشتركة فى ميادين الاقتصاد والاجتماع والفكر والثقافة والسياسة ومن اجل التقدم البشرى والسلم العالمى .

والحقيقة ان جميع الدول الاسلامية والشعوب الاسلامية تعمل جهدها لتدعيم التضامن الاسلامى وتقوم بخطوات عملية فى هذا السبيل ، بما فى ذلك بعض الحكومات التى عارضت دعوة التجمع الاسلامى واستندت فى معارضتها الى انها اكثر من غيرها حرصا على التضامن الاسلامى وضمنت دعاياتها ونشراتها بيانات عما قامت به لخدمة الاسلام والمسلمين — ولكن المسلمين اصبحوا اليوم يشعرون بان تدعيم التضامن الاسلامى لا تكفى فيه المجهودات الفردية التى تقوم بها كل دولة على حدة ، بل لابد لذلك من **جهود مشتركة** ، ولابد من **عمل جماعى** ، تساهم فيه جميع الدول الاسلامية ، وجميع الشعوب الاسلامية . وهذا اتجاه طبيعى منطقى لا يستطيع عاقل ان يعارضه لانه لا يمكن ان يقال للمسلمين ان تعاون البشر كلهم ممكن وواجب ولكن تعاونهم فيما بينهم محرم او ضار . والغريب انهم يبذلون جهدهم فى معارضة الدعوة لعقد مؤتمر على مستوى القمة بين الدول الاسلامية دون ان يقدموا اى اقتراح لفتح طريق آخر للتعاون الاسلامى مع ان من المؤكد ان الدعوة لعقد مؤتمر القمة لم تكن فى نظر اصحابها الوسيلة الوحيدة لتدعيم التضامن الاسلامى ولا هى الوسيلة الاولى ولا الاخيرة ، بل هى نموذج من اللقاءات الاسلامية الضرورية للقيام بعمل مشترك على جميع المستويات وفى جميع الاتجاهات .. فدعوة التضامن لا **يمكن بحال من الاحوال ان تنحصر فى مؤتمرات القمة ، بل هى دعوة خصبة مليئة بامكانيات العمل المشترك لتنسيق خطط الدول الاسلامية فى النواحى الثقافية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية .**

التنسيق الثقافى والاجتماعى :

لقد خضعت الشعوب الاسلامية فى اغلب اقطارها للاستعمار الاجنبى فترة طويلة ،وقد ترك هذا الاستعمار آثاراً واضحة فى احوالها الاجتماعية والثقافية ولابد لازالة هذه الآثار من عمل مشترك وخطة منسقة بين الدول الاسلامية جميعها . فلا شك ان العصور الاسلامية الزاهرة قد اثمرت نوعا من الثقافة المشتركة والوحدة الثقافية بين شعوب العالم الاسلامى ، ولكن التدهور والسيطرة الاجنبية عملا على مسخ الشخصية الثقافية للمسلمين وفرضت بعض الاقطار ثقافة اجنبية او لغة اجنبية تربطها بالمستعمرين وتفصلها فى الوقت نفسه عن اشقائها . والهدف الثقافى للتجمع الاسلامى هو محو تلك الفوارق الثقافية الناتجة عن السيطرة الاستعمارية الاجنبية ، وبعث الثقافة الاسلامية المشتركة ، التى توحد الاتجاه الثقافى فى شعوبنا ، وتسهل التعاون الثقافى بينها ، وخاصة اذا اعطيت عناية خاصة للغة العربية باعتبارها لغة القرآن ولغة الاسلام الاولى واداة صالحة لنهضتنا الثقافية والحضارية .

اما فى الناحية الاجتماعية فقد قطعت كثير من البلاد الاسلامية شوطا كبيرا فى طريق التطور الاجتماعى كل بحسب الاسلوب الذى يلائم ظروفها واحوالها الخاصة . وقد يصعب فى الوقت الحاضر توخى طريق واحد للتطور الاجتماعى فى جميع الدول الاسلامية ، ولكن التنسيق بين تلك الدول سوف يعطى لكل منها الفرصة الكاملة لاتمام تطورها بالطريقة التى تلائم ظروفها دون ان تفرض عليها اساليب من الخارج ، وسوف يعطى لها الفرصة ايضا للاستفادة من تجارب الشعوب الشقيقة وخبراتها . ولقد كانت تصريحات الملك فيصل واضحة وقاطعة فى ان الاسلام يجمع بين المسلمين ولا يفرق بينهم ، وان دعوته موجهة لجميع قادة الشعوب الاسلامية مهما تكن مذاهبهم الاجتماعية او اتجاهاتهم السياسية ، طالما ان لقائهم جميعا سيكون تحت شعار الاسلام وفى ظل العقيدة الاسلامية.

فليس معنى التضامن الاسلامى فى نطاق النظم الاجتماعية والثقافية ان تلتزم جميع الشعوب الاسلامية بالسير فى هذا الطريق بخطوات اضعفها او اكثرها تخلفا فى هذه الناحية ، لأن من حق كل شعب منها ان يتابع سيره فى طريق التطور الثقافى والاجتماعى والعلمى والفنى الذى بداه والذى يلائم حالته وظروفه ، بشرط ان تبقى بين جميع الشعوب الاسلامية رابطة العقيدة المشتركة لكى يتسنى بذلك للمتخلف ان يحذو حذو اشقائه ويسير على نهجهم ويستفيد من تجاربهم دون تخوف ان تشكك مطمئنا الى ان الطريق الذى يسلكونه جميعا هو طريق اسلامى للنهوض والتطور فى جميع نواحى الحياة الحديثة وبذلك يكون طريقا ذاتيا معتمدا على العقائد المشتركة والثقافة المشتركة والتاريخ المشترك الذى يجمع بينها فى صبغة اسلامية صافية « **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة** » .

التنسيق الفكرى والعقائدى :

ان تدعيم التضامن بين الشعوب الاسلامية يستلزم اقتناعها بانهاتسير فى تطورها وتقدمها على اساس العقيدة المشتركة ، التى ربطت بينهـــا بروابط الاخوة والتضامن وهى العقيدة الاسلامية . وميزة هذه العقيدة المشتركة عن غيرها فى نظر المسلمين انها هى عقيدتهم الذاتية ، وانهـــا عنوان شخصيتهم وتاريخهم وحضارتهم ، فكل تطور على أساسها تطور ذاتى وكل نهوض على أساسها هو نهضة استقلاليـــة لا يشوبها شائبـــة التبعية للخارج .

فكل محاولة لصرف شعب من الشعوب الاسلامية عن هـــذا الطريق الاسلامى محاولة فاشلة لانها محاولة لصرفه عن شخصيته وهدم كيانـــه وهو ما لا يمكن ان يقبله شعب حر ، ولا ان يستسلم له شعب أسلامى . ومهما تحايـــل اصحاب العقائد المستوردة على تزيـــين تلك الافكـــار والعقائد ، فان شعوبنا ترفضها ولن يجدى ما ينسجونه حولها من أساطير وما ينسبونه لها من فضائل ، فالشعوب القوية لا تقبل سبيلا للنهـــوض او التطور الا اذا كان نابعا من ذاتيتهـــا ، قائمـــا على أساس مقومات شخصيتها .

وميزة اخرى لهذه العقيدة الاسلامية المشتركة انها تزيل الحواجزالتى يقيمها المفرقون والمخربون بين الشعوب الشقيقة ليربطوا بلادهم باحدى الكتل المذهبية صاحبة النفوذ العالمى . ولا يبالون ان يعرضوا شعوبهـــم بذلك للانفصال والانعزال عن شقيقاتها ، وخلق تصدع بين مجموعـــة الاسلامية لا يستفيد منه الا المتربصون بها خارج حدودها . ولكن رابطة العقيدة المشتركة بين شعوبنا كفيلة باحباط تلك المحالاوت الانعزاليـــة وحماية شعوبنا من أخطارها .

ويؤدى هذا التنسيق الفكرى ايضا الى محو الخلافات المذهبية بـــين الفرق الاسلامية المتعددة التى كانت ثمرة المنازعات السياسية بين تلك الفرق طوال عصور التاريخ الاسلامى ، والتى تخلق للدول الاسلاميـــة مشاكل طائفية واقليمية تثقل كاهلها وتضعف فاعليتها فى المجال الدولى، وتزعزع عقيدة المسلمين فى انهم امة واحدة ، ذات عقيدة مشتركة واحدة يشعر فى ظلهـــا السنى والشيعى والوهـــابى والزيدى بوحـــدة الفكـــرة الاسلامية ووحدة العقيدة المشتركة ويقتنع اصحاب المذاهب جميعها بانه ليس من حق مسلم ،فردا كان او جماعةان يضحى بوحدة الامة الاسلامية من أجل التعصب الطائفى والمذهبى وان المسلمين امـــة واحـــدة واول واجباتهم التغلب على الانقسامات المذهبية والفكرية قديمهاوحديثها وازالة الخلافات والتناقضات الناتجة عنها .

التنسيق السياسى :

ليس هنا مجال البحث عن اى الدول الاسلامية اكثر من غيرها تحررا من الارتباط او التبعية لاحدى الكتل الدولية التى تتنازع السيطرةالعالمية لان مظاهر التبعية والارتباط الدولى اصبحت متعددة الصور والاشكال . ومن الصعب ان نميز فيها بين معاهدات الحماية ، وصكوك التبعية ،وبين التصريحات المشتركة والتصريحات من جانب واحد ، والانذارات ، واتفاقات التعاون المشترك ، وما الى ذلك . ولكن المؤكد الذى لا مجال للشك فيه ان الشعوب الاسلامية كلها مجمعة على التخلص من مظاهر الارتباطات والتبعيات الاجنبية مهما تكن صورها . وان كل شعب منها متى وجد سلامته وامنه فى التضامن الجماعى مع اشقائه وجيرانه فانه لا يقبل بقاء اى ارتباط خارجى مهما يكن شكله او صورته .

ويمكن ان نذكر ان انشاء الجامعة العربية تم فى وقت كانت فيه غالبية الدول العربية ترزح تحت قيود الارتباطات الاجنبية . ولم تكن هذه القيود مانعة من انشاء الجامعة بل على العكس من ذلك فان وجود الجامعة ساعد الدول العربية على التحرر من تلك القيود . ووجود تجمع اسلامى على اساس سليم يمكن ان يكون له من الاثر فى نطاق الدول الاسلاميةمثل ما للجامعة العربية من اثر فى النطاق العربى . فالتجمع الاسلامى كالجامعة العربيه كلاهما اداة لتنسيق جهود الشعوب العربية والاسلامية لاستكمال تحررها وتنمية تضامنها فى الميدان السياسى كما فى الميادين الثقافية والاجتماعيه والاقتصادية .

وكما ان وجود الجامعة العربية كان له الفضل الاول فى تدعيم اتجاه الدول العربية نحو عدم الانحياز فى مجال السياسة الدولية ، فان التجمع الاسلامى لابد ان يؤدى لنفس الغاية على صعيد العالم الاسلامى ، لانه يقوى اتجاه الدول الاسلامية الى مقاومة كل ارتباط خارجى سواء على الصعيد العسكرى او السياسى او على الصعيد الفكرى او العقائدى . والمسلمون لا يميزون بين صور الارتباطات الاجنبية وانواعها والوانها . فالارتباط العقائدى ليس اقل خطرا على استقلالهم وكيانهم منالارتباطات الاخرى ومقاومتهم له لا تقل عن مقاومتهم لاى نوع آخر من الارتباطات الخارجية .

لقد اثبتت تجاربنا التاريخية ان للاسلام طاقة عجيبة فى اذابة الفوارق العنصرية والطائفية والطبقية واقامة مجتمع منسجم على اساس الاخوة الانسانية . وتدعيم التضامن الاسلامى هو خير وسيلة تريح كثيرا من الدول الاسلامية من المشاكل الداخلية الناتجة عن المنازعات العنصرية او الطائفية او الطبقية التى تثقل كاهلها .

وهذا القول يصدق على الاتجاهات القومية المتطرفة التى خلقت بين بعض الدول الاسلامية الشقيقة منازعات اقليمية تهدد استقرارها وتهدد السلم العالمى ، مثل مشاكل الحدود بين الجزائر والمغرب وتونس ، او بين العراق وايران مثلا . والتجمع الاسلامى الذى يوسع افق التضامن وراء حدود الاقليم وحدود الوطنية الضيقة ، كفيل بحل هذه المشاكل وكبح جماح التطرف القومى والتعصب الاقليمى .

ثم ان هناك قضايا سياسية ووطنية ما زال الجهد الفردى للشعوب صاحبة الحق فيها عاجزا على حلها ، مثل قضايا فلسطين وكشمير وقبرص ، وغيرها . وبقاء هذه القضايا معلقة لا يقتصر اثره على شعوب تلك الاقطار ، وانما يهدد سلامة الشعوب المجاورة والشعوب الشقيقة وينتج عن هذا التهديد الدائم صرف امكانياتها نحو الاغراض الدفاعية والعسكرية مما يترتب عليه عبء كبير على ميزانياتها من النفقات غير المنتجة ويشغلها حتما عن العمل الجدى فى مجال النهضة الاقتصادية والثقافية والعلمية والحضارية من جميع الوجوه .

والتضامن الاسلامى يحول تلك القضايا الى قضايا اسلامية عامة يتحمل عبئها جميع الدول الاسلامية فى اطار التضامن والتعاون ووحدة الاهداف ووحدة الخطة والعمل وهذا وحده يكفى لاخراج تلك القضايا من الجمود الذى وصلت اليه ، ويزيد من امكانيات الوصول الى حلول سلمية لها بتاثير الوزن الدولى للمجموعة الاسلامية الضخمة المتضامنة التى لا يمكن ان يقارن به الوزن السياسى لأى دولة منها منفردة ، ولا اى مجموعة اضيق واصغر ، — كالجامعة العربية مثلا ، التى عجزت الى اليوم عن اسماع صوت الحق فى المجال الدولى بالنسبة لقضية فلسطين.

التنسيق الاقتصادى :

اذا ازيح عن كاهل كل دولة من الدول الاسلامية تلك الاعباء الناجمة عن المشاكل الداخلية والاقليمية والسياسية وبقيت على عاتق المجموعة الاسلامية الكبرى وامكن انطلاق تلك المجموعة فى طريق التعاون الجدى العملى فى ميدان الصناعة والانتاج والتنمية والتطور الاقتصادى والاجتماعى والثقافى . فانها بذلك تكون قد ادت اكبر خدمة لشعوبها خاصة وللعالم كله بصفة عامة ، وضربت احسن مثل للشعوب النامية لكى توجه جهودها للتنمية الاقتصادية والتعاون فى مجالات البناء والانشاء بدلا من الجمود امام المشاكل ذات الطابع السياسى او العنصرى او القومى.

ان فكرة التجمع الاسلامى تفتح اكبر مجال للتعاون بين المسلمين على الصعيد الاقتصادى والانتاجى **وان من مظاهر العجز والفشل وعدم الجدية اهمال العناصر الاقتصادية والعملية فى دراسة الموضوعات والبحث**

فيها . ومن المؤلم ان نجد اناسا يتولون مراكز القيادة والتوجيه يصدرون التصريحات الصحافية او يلقون الخطب المطولة فى معارضة التضامن الاسلامى ولكن كل حججهم هى اعتبارات سياسية قائمة على افتراضات لا دليل عليها للان . ولم نسمع من هؤلاء المعترضين على التضامن الاسلامى كلمة واحدة عن الناحية الاقتصادية او التجارية او المالية او العلمية فى التضامن الاسلامى .

وما زال المجال مفتوحا امامهم وامام غيرهم . فعليهم ان كانوا جادين ان ياتوا بدليل على ان التعاون الاقتصادى بين الدول الافريقية مشروع وبين الدول الاسيوية مشروع اما بين الدول الاسلامية فهو محرم او ضار وطبعا لن يجدوا هذا الدليل ولذلك فهم لا يجرؤن على ان يطرقوا ناحية التنسيق الاقتصادى والتجارى وما يتعلق بذلك من مواصلات ومعاملات ومبادلات وتكامل اقتصادى بين الدول الاسلامية ذلك لانهم يعرفون أن المجال للتعاون الاسلامى خصب مفيد لجميع الشعوب الاسلامية .

2828

خاتمة

ان التجمع الاسلامى ـ كما راينا ـ خطوة تقدمية يفرضها منطق التاريخ ، ومنطق الواقع الاسلامى ، والواقع العالمى . ثم انها خطوة ايجابية من حيث آثارها بالنسبة للمسلمين وبالنسبة للعالم اجمع . ذلك ان حل المشاكل الداخلية والاقليمية والسياسية التى تشغل الدول الاسلاميةيوجه جهودها نحو المشكلة الكبرى فى عالم اليوم ،وهى مشكلة التنمية الاقتصادية ورفع مستوى المعيشة وتطويرالنظم الاجتماعية تطويرا سلميا ، وتوجيه التعاون الدولى نحو النواحى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى تفتح باب التقارب والاندماج بين الشعوب .

ثم ان حل القضايا الاسلامية الكبرى عن طريق التجمع الاسلامى هو فى ذاته خدمة كبرى للسلم العالمى ، لان تلك المشاكل ليست عبئا على كاهل الشعوب الاسلامية وحدها بل انها عبء على كاهل السلم العالمى ، وتهدد دائما العلاقات السلمية بين الشعوب . وقد راينا كيف تطورت مشكلة كشمير الى حرب سالت فيها دماء الالاف من المسلمين وغير المسلمين . وكذلك الحال فى فلسطين وفى قبرص والصومال وغيرها .

ولا شك ان العالم الاسلامى يشغل المنطقة الوسطى للعالم ، حيث تلتقى تيارات السياسة الدولية ، وتصطدم مصالح الكتل الكبرى التى تتنازع السيطرة العالمية وخير مساهمة يقدمها المسلمون لسلام العالمهى ابعاده عن مخاطر الصدام بين هذه الكتل المتصارعة وذلك بملء الفراغ العقائدى الذى يوجه الينا مطامح الكتلة الشرقية ، وملء الفراغ الاقتصادى الذى يجذب الينا مطامع الكتلة الغربية . وملء هذا الفراغ المادى والمعنوى لا يكون الا على اساس تجمع شعوب المنطقة حول عقيدتها الذاتية ومن اجل مصالحها المادية والمعنوية ، واعتزازها بشخصيتها ، ودفاعها عن كيانها ، واستقرارها ، فى ظل التعاون والتضامن الذى تتجه اليه شعوب العالم اجمع والى هو الهدف الاسمى للشعوب المؤمنة بمبادىء الامم المتحدة واهدافها .

VETVS &
NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
JULY-AUG. 1993

Princeton University Library
32101 059172005